من طرائف الشعر

شوقيتان لم تنشرا

١ — قصيدة لم تتم للمرحوم شوقي بك في (سعد) والثورة

يا شبابُ اقتدوا بشيخ المعالى ... فالمعالى تَشَبُّهٌ وتَحَدّى
هو لو لم يكن له من الفضل إلا ... هذه كان غايةَ الفضل عندى
قد تصدّى لنائبات حقوق ... غيرُ سهل لمثلهن التصدّى
حزَنَتْه بلادُه وهى صَيْدٌ ... بين نابَىْ مُظَفَّر النّاب وَرْد
أمّةٌ من غرائب النصر نَشْوَى ... تَسْلُبُ المُلْكَ مَنْ تشاء وتُسدى
أخْرَسَتْ أفصحَ القياصر سيفاً ... بأساطيلَ فى الخصومة لُدّ
جاءها سعد شاهرَ الحق يدعو ... سيفها المنتضَى لُخطّة رُشد
أعْزَلَ المنكبَيْن إلا من الحق ... ومن حجة كنَصْل الفِرِنْدِ
خاطبَ النارَ وهى فى شَغَفِ المِدْ ... فع والسيفَ وهو فى غير غمد
غَبْرَةٌ يُشفق الضياغِمُ منها ... خاضها لم يَهَبْ عواقب وِرْد
فنَفَوْا فانتفى فصادف حظاً ... حبذا الجِدُّ إن أُعينَ بِجَدّ
واذا مصرُ كالبوءةِ غَضْبى ... لابنِها تبذُل الدماء وتفدى

. . . . . .

٢ — قصيدة أخرى للمرحوم لم تتم في (موليير) الشاعر الفرنسى

.. وإن (مُولِيين) نجمٌ لا أقولُ له ... وان تغيَّب فى الأحقاب واحتجبا
شريعة من بيان الغرب صافية ... وان يك الشرق أحياناً بها شربا
وآيةُ الأدب الرومىّ فى لغة ... لم تخل من سرها عجماً ولا عربا
لو استطاع ذووها من عنايتهم ... بنشرها علّموها الجنَّ والشهبا
فاحفظ لسانك واجهدْ فى صيانته ... كما يصون الكريمُ العرضَ والحسبا

* * *

كأنما كانت الدنيا على يده ... يصوّر الناس عنها كلما كتبا
إذا مضى يعرض الأخلاق عارية ... أراك من كل نفس صورةً عَجَبا
يأتى النفوس فينضو عن طبائعها ... ستراً ويهتك عن أهوائها الحجبا
فربما ازددتَ علماً بالبخيل وإن ... نشأت تلقاه جَدّاً أو تراه أبا
وقد يزيدك بالكذّاب معرفةً ... وأنت تُضحى وتُمسى تسمع الكَذِبا
وقد يريك أخا الوجهين منكشفاً ... وأنت تلقاه فى الإخوان منتقبا

. . . . . .

ومن جيد ما نشره المرحوم من الشوقيات قوله يعتب على بنى وطنه اختلافهم وتنازعهم :

وأين الفوز لا مصر استقرت ... على حال ولا السودان داما
وأين ذهبتمو بالحق لما ... ركبتم فى قضيته الظلاما
لقد صارت لكم حكما وغنما ... وكان شعارها الموت الزؤاما
شببتم بينكم فى القطر ناراً ... على محتله كانت سلاما
إذا ما راضها بالعقل قوم ... أجدّ لها هوى قوم ضراما
ترامیتم فقال الناس قوم ... الى الخذلان أمرهمو ترامى
وكانت مصر أول من أصبتم ... فلم تحص الجراح ولا الكلاما
إذا كان الزماة رماة سوء ... أحلوا غير مرماها السهاما

وقال يوجه الخطاب الى توت عنخ آمون عقب كشف قبره :

قل لى : أحين بدى الثرى ... لك هل جزعت على العرين ؟
آنست ملكا ليس بالشا ... كى السلاح ولا الحصين
البر مغلوب القنا ... والبحر مسلوب السفين
لما نظرت الى الدنيا ... ر صدقت بالقلب الحزين
لم تلق حولك غير (كر ... تر) والنطاسىّ المعين
أقبلت من حجب الجلا ... ل على قبيل معرضين
تاج الحضارة حين أشـ ... ـرق لم يجدهم حافلين
والله يعلم لم يرو ... ه من قرون أربعين

حصن طارق

للأســـتاذ فخري أبو السعود

أقام على شط الجزيرة مفرداً ... ورانت عليه وحشة وسكون
على الصخرة الصماء يصخب دونه ... من اليم لج زاخرٌ ومتون
مُضِبٌّ يجيش الشرق والغرب حوله ... صَمُوتٌ على كرِّ العصور مبين
به صَدْقَةٌ عمَّا يرَى في زمانه ... وفيه إلى ماضي الزمان حنين
تغيرت الدنيا ، وبادَ قَبيلُهُ ... وغيَّرَهُ دهرٌ مضى وقرُون
وقطَّبَ لمَّا أنكرَ العصرَ حوله ... وسارت بما لا يشتهيه شؤون
وأنكرَ خيلاً حوله وأعاجماً ... تقرُّ لهم تلك الرُّبى وتَدِينُ
تَدِين لرئبالٍ بكل مفازةٍ ... له في أقاصي العالمين عَرِين

* * *

تعطَّلَ من بعد اعتصامٍ ومَنعةٍ ... أسيرٌ بأيدي الغالبين رَهين
وكان يصون القومَ فارتدَّ أعزلاً ... وأصبحَ حتى النَّفسَ ليس يَصون
إذا لم تكن همَّاتُ قومٍ حصونَهم ... تداعتْ رواسٍ دونهم وحصون

* * *

حَوَتْ من تلادِ المجدِ صخرةُ طارقٍ ... على الدَّهر مالا يحتويه رَقينُ
تعالتْ بها ، أللهُ أكبرُ ، مرَّةً ... فمادتْ سهولٌ دونها وحُزُون
وسالتْ شعابٌ بالصوارم والقنا ... وأحرق خلف الفاتحين سفين
وقامتْ بأطراف الجزيرة دولةٌ ... وأزهرَ عِرفانٌ وأشرق دين
جَلاَ أمسِ عنها آلُها ، وبنُوهمُ ... عَلَى الضفَّةِ الأخرى الغداةَ قَطِين[1]
فمَنْ لي بمن ينبي الجدودَ بأنَّهُ ... وقد عزَّ عُبدانُ الجدود نهون ؟
وأنَّا إذا اغتَمَّنا رُسُومَ علاهمُ ... تناهبتِ القلبَ الحسيرَ شجون
خشعتُ وعادتْني لدى حصن طارق ... همومي وابتلَّتْ لديه جفون
لشعبٍ يُسيغ الذلَّ من بعد ماسَما ... له في الورى مُلكٌ أشمُّ مَكين

القاهرة — فخري أبو السعود

(١) قطين : عبيد .

الوحيد المريض

للأستاذ محمد خورشيد

سالَ ذَوْبُ الفؤاد في أنَّاتِهْ ... وتلاشَى بُكاهُ في آهاتِهْ
ساكِنُ الطَّرفِ لا يرفُّ لهُ جفنٌ ولا يعرفُ الضَّنَى عن أذاتِهْ
واجفُ الصدرِ، شاحبُ الوجهِ خُطَّتْ نقشاتُ الأسى على قسماتِهْ
كادت الروح تستحيل أريجًا ... تتملَّى الجِنانُ من نفحاتِهْ
وظلامُ المنونِ مَدَّ رواقَيْهِ ... ليطوِي في الليلِ فجرَ حياتِهْ
وأبُوهُ المرورُ ضَمَّ إلى الصد ... ر فتاهُ ليفتديهِ بذاتِهْ
حابسًا ما استطاع أنفاسَ صدرٍ ... شَبَّ جمرُ اللأواءِ في جَنَباتِهْ
ولو استطاعَ أسكتَ القلبَ حتى ... لا يَضِجَّ الصغيرُ من خفقاتِهْ
كلما أرسلَ ابنه زفراتٍ ... كاللظى خالها صدى زفراتِهْ
كلما أسبلَ الدموعَ فتاهُ ... كاللآلي تَشِفُّ عن حسراتِهْ
ظنَّ وجهَ الفطيمِ أصبحَ مرآ ... ةً أرتهُ المدرارَ من عبراتِهْ

* * *

باتَ قلبي طيَّ الضلوعِ سجلاً ... لجِنانِ الوحيدِ في نبضاتِهْ
إن هفا مسرعًا حكاه ابنُ جَنْبي ... أو تأنَّى شاكلتهُ في أناتِهْ
وضميري ناجَى الحبيبَ فأصغى ... وهو رهنُ الضَّنَى الى همساتِهْ
قد حُرمتُ السُّباتَ والداءُ يقظ ... انُ يُوالي مُسَدَّدًا رَمياتِهْ

* * *

حارَ إذا عادنا الطبيبُ ولمَّا ... يدرِ أيَّا يَطُبُّهُ بأداتِهْ
أ(نزارًا) وقد ذَوتْ مُقلتاهُ ... أم أباهُ والرُّوحُ قُربَ لهاتِهْ
إن سُقمَ الأبناءِ أقسمَ إلاَّ ... أن يكونَ الآباءُ مرمى ترياتِهْ

* * *

يا رسولَ الردى أمانًا فهذا ... قد عقدنا المُنَى على بسماتِهْ
إن أردتَ الفداءَ دونكَ روحي ... تلكَ عند الشبابِ أغلى هباتِهْ
يَرِثُ التاجَ أولياءُ العهودِ الصِّيدُ والمجدُ مُوقِعٌ نغماتِهْ
فاعفُ عني ، ولي عهدي، لأني ... خِفتُ دهري فكنتُ من أقواتِهْ
لم أورِّثكَ غيرَ شعرٍ شجيٍّ ... سال ماءُ الفؤادِ من أبياتِهْ

* * *

أصبحَ البؤسُ نَوْأمَ الشعرِ عندي ... يزدهيني بندبهِ وشكاتِهْ
إنَّ وحيَ الأسى المروِّعِ يحبو الشاعرَ الفذَّ مُجتبَى خطراتِهْ

القدس — محمد خورشيد

توماس كارليل

Thomas Carlyle

١٧٩٥ — ١٨٨١ م

بقلم عبد الكريم الناصري

— ١ —

« العبقرية الحق ، هي التي تعمل ولا تشبع ، وتجد في الألم لذة ، وفي الموت من أجل العمل حياة ، ولا تحسب يوماً أنها وجدت ما تنشده وتصبو إليه ! . . »

« العبقرية الحق ، هي التي تخلق وتنشىء ، وتنظر دائماً إلى الممكن والى المستقبل ؛ هي باذرة بذور الخير والحبّ والطيبة والجمال في الوجود ، والطامحة دائماً الى الأحسن ، والآخذة بالناس من الظلمات إلى النور ، ومن العبودية الى الحرية . وتخلد العبقري بقدر ما تترك رسالته من أثر على وجه البسيطة ؛ فكلما كانت رسالة العبقري إنسانية ، كان الاعجاب بها شديداً والثناء عليها قوياً . »

* * *

ولد توماس كارليل في قرية « إكلفكان » — بأقليم أنا ندال — بجنوبي اسكوتلندة ، في تشرين سنة ١٧٩٥ . وكان أبوه بنّاء ، وهو الذي بنى البيت الذي ولد فيه ابنه ؛ وكان صلب الرأي ، ميّالاً الى الجدّ والعمل . أمّا أمّه فكانت امرأة صالحة حنوناً طيبة القلب . أدخله والده — أوّل الأمر — في مدرسة القرية ، فتلقى فيها مبادىء العلوم ، ثم في مدرسة قرية « أنان » . ولما بلغ الثالثة عشرة من عمره دخل جامعة ادنبرج . وفي سنة ١٨١٤ عيّن مدرساً للرياضة بمدرسة أنان ، وكان قد بلغ التاسعة عشرة من عمره . ولم تمض عليه ثلاث سنوات حتى صار رئيس مدرسة ببلدة « كركالدي » .

وفي سنة ١٨١٨ ترك حرفة التعليم متبرّماً بها ، ساخطاً على المنتسبين إليها ؛ وذهب الى ادنبرج باحثاً عن عمل يعيش منه ؛ ودرس هناك علم المعادن الذي أفاده فائدة كبيرة ، إذ اضطره الى تعلم الألمانية « التي كانت من أسباب ظهوره ورفعته . » مع أنه كان يمقته مقتاً شديداً . وكان يتقن الفرنسية أيضاً ويترجم عنها مقالات علمية فيتكسب من ذلك ...

— ٢ —

... اجتمعت في كارليل صفات أبيه وأمّه . ورث عن أبيه صلابة الرأي ، ومضاء العزم ، وخصب الخيال ، وقوّة التصوّر ؛ وورث عن أمّه دماثة الخلق ، وسلامة النيّة ، وطيبة القلب ، وكثرة الحنان ، وخفة الظلّ .

وفيه أيضاً اجتمع هدوء الانجليزي ووطنيته الصادقة ، واعتزاز الألماني بقوميته ، واعتداده بنفسه واستبداده برأيه ، وفكاهة الفرنسي ومزاجه .

كان فيلسوفاً نابغة ، ومؤرخاً مدققاً ، وناقداً صائب الرأي قويّ الحجة ساطع البرهان ، وكاتباً بليغاً ساحر البيان ، عجيب التصوّر للحقائق ، مدهشاً في عرضها على قارئه أو سامعه واضحة جلية ، وكان خياله يشبه النافورة التي يتدفق ماؤها فيسقي هيا كل الأبطال القدماء العظمية ، ويحيلها إلى أناسيّ مثلنا يتحركون ويضطربون ! ...

كان في كتاباته جادّاً وهازلاً ، مكتئباً وضاحكاً ، تلمح من خلال سطور كتاباته نفساً هادئة ، مؤمنة ، قنوعاً ، ولكنك تجده أحياناً ليثاً كاسراً ، غضوباً متمرداً ... وكان متبرّماً بالوظائف والحرف المقيدة لحريته ، ولما ترك مهنة التعليم صاح محتداً ساخطاً : « لا طاقة لي بعد بهذه الحرفة الممقوتة ! ... »

وأرى أنه كان في آرائه وأقواله قومياً ومتعصباً أحياناً ، وإنسانياً أحياناً أخرى . يتعصب حين يحدثك عن « كروميل » أو عن فريدريك الكبير ملك بروسيا ، فيغرق في مدحهما والاشادة بذكرهما ، ويجملك على تصديق أقواله بسحر بيانه وقوة برهانه ، لأن الأول انجليزي ، والثاني بروسي ، وكان كارليل حريصاً على إرضاء البروسيين . ويقول الكاتب والناقد الانجليزي ج . ك . تشسترتون : « لقد سلط كارليل تيار خياله القويّ المتدفق على شخصية هي كالجمجمة جفافاً ويبوسة وصلابة (أي فردريك) ، وسكب عبقريته الخلاّقة المبدعة ليخلق من أسفل وأدنأ وأوحش شخصيّة عرفها التاريخ انساناً شهماً ، كريماً ، عظيماً ! . »

وهو انسانيّ حين يحدثك عن محمد (ص) والاسلام مثلاً ، فيقول : « لقد أصبح من أكبر العار على أيّ فرد متمدين من أبناء هذا العصر أن يصغي إلى مايظن من أن دين الاسلام كذبٌ وأن محمداً خدّاعٌ مزوّر ؛ وآن لنا أن نحارب مايشاع من مثل هذه الأقوال السخيفة المخجلة ، فإن الرسالة التي أداها ذلك الرسول

ما زالت السراج المنير مدة اثني عشر قرناً لنحو مليون من الناس . » أو حين يقول : « ما محمد بالكاذب ولا الملفق ، وإنما هو قطعة من الحياة قد تفطر عنها قلب الطبيعة ، فاذا هي شهاب قد أضاء العالم أجمع » ...

وقد قال « ريتشارد جازبيت » : « فلما كتب كارليل مقالته عن الاسلام ينافح فيها عن محمد ويناضل عن دينه ، لم يبق هجّاء أطلق يده في عرض محمد (عليه السلام) إلا قبضها مجذومة شلاء ، ولا فحاش يدّري ذلك الأديم الأملس ، وتلك الصحيفة البيضاء ، بسهام السباب الاّ وردّت سهامه في نحره حتى راح شرف النبيّ في تلك الديار بفضل الفيلسوف الأكبر صحيح الأديم موفور الجانب ... »[1]

ومن هنا ترى أن الرجل كان يعتمد على ذكائه وصفاء ذهنه ، واستقامة منطقه القوّي ، وبلاغته وخياله أيضاً ، في حمل الناس على اعتناق مذاهبه ، والأخذ بآرائه ، والايمان بمعتقداته ، وقد نجح في ذلك نجاحا عظيما ، وفاز فوز جبار ! . .

— ٣ —

وقد أحبّ ذلك الفيلسوف فتاة جميلة تدعى « مرغريت جوردون » ، وقد ابتدأ ذلك الحب حين صار رئيس المدرسة التي ذكرناها ببلدة كركالدي . ووصفها في كتابه « فلسفة الملابس » .

وكان كارليل « يعبد الجمال ويكبر ملكات العالم (أي النساء) ويقدسهن ، ويرى لهن جلالاً إلهياً ! » ولكن حظه منهنّ « لم يكن إلا حظ اللمس من الخيال ، والقليل من الآل ! »

لقد كان حبه عنيفاً جداً لمرغريت ، ولا تكاد تقرأ بضع صفحات — بل بضعة أسطر — من كتابه فلسفة الملابس ، حين يصفها ، إلا وتؤمن أنه لم يكن هوى أو حباً ، بل لا عجاً محرقاً ، بل هياما جنونياً ، ولكن العبقري المسكين أخفق في ذلك الحب ولم يتزوج من بلومين (كما يسميها في ذلك الكتاب) لتعرّض أصدقائها . . .

اسمعه يقول باكيا[2] . . . « فكنّ للفتى (أي كارليل) كأنهن من الهواء مخلوقات ، ومن الضياء مصوغات ، أرواح في أشباح ، وأذهان في ألوان . . .

وكأنهنّ ملائكة تحمل كل منهن معراجاً يرتقي فيه العاشق الى مقامات الأبرار في الجنان ، فليت شعري هل قضى الله للفتى المنفرد (يعني نفسه) أن يظفر يوما ما بأحدى هذه الملكات ؟ بل أين منه ذلك ، هيهات هيهات ! ! »

« أما والذي خلق الهوى وجعله جنة المحب وجحيمه ، لئن قضى الله للفتى أن تهبط عليه واحدةٌ من تلك الخيالات المليحة ، فتتحول له جسماً حياً ملموساً ، وحقيقة محسة ، ثم تلحظه بنظرة انعطاف وتودد ، وتقول له بعينيها : (لك الآن أن تُحِب وتُحَب !) إذن فأي بركان هائج يثور ، وأي جحيم كامن يجيش ويفور !! . »

« وقد اشتعل مثل هذا الحريق يوما ما في فؤاد الفتى المنفرد اشتعالاً بركانياً ؛ وكيف يكون الأمر غير ذلك والفتى مزاجٌ رقيق ، وطبع سريع الهياج — فيه « كاربون » الحدة ، و « فوسفور » الشهوة ، و « كبريت » الأنفعال — تنتظر أدنى شرارة من لحاظ دعجاء المحاجر ، قتالة الألحاظ ، فتتأجج وتشتعل ؛ وما شرار اللحظ في هذا العالم بالشيء المفقود ؛ فليت شعري اذا هبطت عليه من آفاق العزة مليحة حسناء ، فرمت « كبريته » بشرارة من لحظها — ماذا يكون المآل ؟ ! . . . . . »

- واسمعه يخاطب فتاته المحبوبة : « وما هي إلا هنيهة حتى تُقرّب الى القيادة وتُقدم لها ! يارعاك الله أيتها الآنسة ! إنك لتشرقين بين أترابك من الفتيات ، وتبهرين صواحبك من الغانيات ؛ كأنك الكوكب الدريّ هبط من السماء فتوسّط طائفة من المصابيح والشموع ! يا أشرف الفتيات ! وسيدة النساء ! يامن سبيت الخامل المسكين فتهافت عليك بدناً وروحاً ؛ وهو مع ذلك منكس الجيد في حضرتك ، من فرط هيبتك ، خاشع الطرف ؛ تعروه لذة ألمة ، وتعلوه حيرة لذيذة ! ! أحقاً أصبح الفتى المسكين يشهد مجلسك ويجتلي نور طلعتك ، وبهاء غرتك ، وحقاً تشرق عليه أشعة لحاظك ! ؟ وحقاً يتكلم فتنصتين ، ويقول فتسمعين ، ويمزح فتضحكين ، ويعظ فترقين ، ويشكو فتتوجعين ؟ وحقاً كان الحب متبادلاً ، والغرام متداولاً ، والعطف متقارضاً ، والودّ متقايضاً ، والقطبان يخفقان للالتصاق ، ويرجفان للاعتناق ، ؟ ! ! وقلب العاشق المسكين يجيش ويثور كالبحر يزخر ويعبّ في حضرة القمر ! ؟ بلى ! حقاً كان كل ذلك » .

البصرة عبد الكريم الناصري

---

(١) ترجمة مصرب « الأبطال » .

(٢) الفقرة التالية من ترجمة مصرب الأبطال أيضاً . ولم أشأ أن أترجمها أنا لأنه أقدر وأفضل مني في ذلك .